

– Hakemli Makale –

الإبدال اللغوي وأثره على اللهجات العربية القديمة

Muna HAJ SALEH

Öğr. Gör., Hitit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı

munahajsaleh@gmail.com

<https://orcid.org/0000-0002-5211-5112>

İclal ARSLAN

Dr. Öğr. Üyesi, Hitit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı

iclalarslan@hitit.edu.tr

<https://orcid.org/0000-0002-1470-4004>

LÜGAVİ İBDÂL ve İLK DÖNEM ARAP LEHÇELERİ ÜZERİNDEKİ ETKİSİ

İlk dönem Arap lehçeleri sentaks, semantik, morfolojik ve fonetik açılarından farklılık göstermektedir. Fonetik bakımdan farklılık meydana getiren sebeplerden biri 'Lügavî İbdâl, yani mahreç yakınlığına bağlı ibdâl'dir. Bu çeşit ibdâlin oluşumunda herhangi bir şart ve kural bulunmamaktadır. Lügavî İbdâlin kullanımında kabileler arasında farklılık görülmektedir. Bu farklı kullanımlar semâî yolla oluşmuştur, bir şart ve kurala bağlı olmaksızın meydana gelmiştir.

Bu makalede 'Lügavî İbdâl' oluşumuna izin veren harflerin mahreç ve sıfatlarına dayanarak incelenmesi yapılmakta ve bunlar da şu şekilde sıralanmaktadır: Mütecânis harfler, Mütecâvir harfler, Mütekârib harfler ve Mütebâid harfler arasında ibdâl. Ayrıca bu taksime beşinci olarak ilk dönem dilcilerin ibdal olarak kabul ettiği fakat bundan farklı olan diğer bir çeşit eklenebilir.

Kabilelerine nispet edilmeyen bazı ibdâl rivayetleri bulunmaktadır. Bu rivayetler ilk dönem dilcilerin tarafından ibdâl olarak kabul görmüştür. Fakat son dönem dilciler, bunların mübdel ve mübdel-minh harfleri arasında sıfat ve mahreç bakımından ortak özelliğe sahip olmamaları nedeniyle bu görüşe katılmamaktadır.

Lügavî İbdâl, bu çalışmada dildeki örnekler ve Kuran kıraatlerinde geçtiği yerler açısından incelenmiş ve ilk ve son dönem âlimlerinin görüşleri ile aralarındaki tartışılmaları ele alınmıştır.

Anahtar Kelimeler: Kadım Arap Lahçeleri, Lügavî İbdâl, Kur'ân Kiraatleri, Fonetik Düzey, Harflerin Mahreçleri, Harflerin Sıfatları.

The Linguistic Alternation and It's Effect on The Ancient Arabic Dialects

The old Arabic dialects differed among themselves at the grammatical, conjugational, semantic and phonetic levels. One of the reasons for their difference at the phonological level sat on the linguistic alternation, which does not adhere to certain conditions and rules, but it is limited to hearing, and is specific to some tribes only.

The linguistic alternation has been studied in this article for the letters that allow the substitution among themselves based on the pronunciation of the letters and their attributes among them were: the alternation between homogeneous letters, similar sounding letters and letters with similar or different character's features and pronunciation, and what the old linguists considered as a linguistic alternation although it does not apply to it, where some narratives were not attributed to their tribes, which linguists considered to be alternation, which were rejected by some modernists; because of the divergence of the altered characters characteristically and pronouncedly, with some examples of each as well as what was mentioned in the Qur'anic recitations.

These characters were studied through the opinions of ancient and modern scholars, in addition some opinions that support this type of alternation, as well as those who disagreed with it, and the reasons for their differences were discussed.

In this study, linguistic alternation was examined in terms of the examples in the language and the places in the Quranic Recitations of the first and last scholars and their discussions were discussed .

Keywords: Ancient Arabic Dialects, Linguistic Alternation, Quranic Recitations and Readings, Phonetic Level, Letter Pronunciation, Character Attributes.

الخلاصة

اختلفت اللهجات العربية القديمة فيما بينها على المستوى النحوي والصرفي والدلالي والصوتي، ومن أسباب اختلافها على المستوى الصوتي الإبدال اللغوي؛ الذي لا يتقيد بشروط وضوابط معينة؛ إنما هو مقصور على السمع، وهو خاص ببعض القبائل دون غيرها.

وقد درِسَ الإبدال اللغوي في هذه المقالة للأحرف التي تسمح للإبدال فيما بينها وفق ترتيب يعتمد على مخارج الحروف وصفاتها، فكان منها: الإبدال بين الحروف المتجانسة والمتجاورة والمتقاربة والمتباعدة وما حسبه اللغويون القدامى إبدالاً ولا ينطبق عليه الإبدال، حيث وردت بعض الروايات التي لم تُنسب إلى قبائلها، والتي اعتبرها اللغويون من الإبدال، بينما رفضها بعض المُحدّثين؛ بسبب تبادل الحرفين المبدل والمبدل منه مخرجاً وصفة، مع ذكر بعض الأمثلة لكل منها و ذكر ما ورد منها في القراءات القرآنية. وقد درِسَت هذه الأحرف من خلال آراء العلماء القدامى والمُحدّثين، كما ذُكرت بعض الآراء التي عللت هذا النوع من الإبدال، بالإضافة إلى آراء من خالف هذا النوع من الإبدال من المُحدّثين، ونوقشت أسباب الاختلاف بينهم.

ومن خلال دراسة الإبدال اللغوي بين تلك الحروف نوقشت عدة قضايا اختلف فيها العلماء القدماء فيما بينهم وفيما بين العلماء القدماء وبين المُحدّثين.

الكلمات المفتاحية: اللهجات العربية القديمة، الإبدال اللغوي، القراءات القرآنية، المستوى الصوتي، مخارج الحروف، صفات الحروف.

المقدمة

إن دراسة اللهجات العربية القديمة من البحوث المهمة في مجال دراسة اللغة العربية، سواء على المستوى الصوتي، أو الصرفي، أو النحوي، أو الدلالي، بالإضافة إلى علاقتها الكبيرة بالقراءات القرآنية، فقد أنزل الله تعالى القراءات السبع تسهيلاً لقراءة القرآن على العرب بسبب اختلاف لهجاتهم، كما كان لاختلاف هذه اللهجات تأثير على اللغة العربية وعلومها بكل مستوياتها.

وستتحدث في هذه المقالة عن الإبدال اللغوي، الذي كان له دور كبير في اختلاف اللهجات العربية القديمة على المستوى الصوتي.

1. الإبدال:

لغة: "مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه"¹.

اصطلاحاً: "إقامة حرف مكان حرف آخر في موضعه في اللفظ"².

ومن فوائده:

الإبدال يساعد اللغوي المتمكن من الإبدال على التمييز بسهولة بين الألفاظ المتشابهة، وتحديد مدى القرابة والعلاقة بينها.

يساعد الأديب عن الفهم الصحيح للنصوص الأدبية.

إنَّ معرفة الإبدال يفيد الكثير من العلماء في التخلص من تهمة التصحيف التي يمكن أن يتهموا بها³.

وهناك فوائد أخرى منها: الوصول إلى السهولة في النطق، كما يفيد في تطور اللغة وإثرائها⁴.

وهذه الفوائد تكون في كل أنواع الإبدال، وستتحدث عن الإبدال اللغوي ودوره في اختلاف اللهجات العربية القديمة على المستوى الصوتي.

2. الإبدال اللغوي⁵:

هذا النوع يعتمد على طريقة لفظ اللهجات العربية، وله تأثير كبير على تنوع اللهجات، ولا يتقيد بشروط معينة، وهو خاص ببعض القبائل، فقبيلة تقول (أن) بينما تقول قبيلة أخرى (عن) يدلون الهمزة عيناً⁶، وهو مقصور على السمع وليس له شروط وضوابط.

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي ابن منظور، لسان العرب، ط3 (بيروت: دار صادر)، 11: 48-49، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد جرجاوي، شرح التصريح على التوضيح، (بيروت: دار الفكر العلمية، 2000)، 2: 190، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرزقي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2 (الكويت: مطبعة حكمة الكويت)، 28: 64، عبد الغفار هلال، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، ط2 (القاهرة: مكتبة وهبة، 1993)، 120.

² أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، (القاهرة: مكتبة السلفية، 1910)، 173، أبو القاسم محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بن ملح، ط1 (بيروت: مكتبة الهلال، 1993)، 1: 505، أبو البقاء بن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط1 (حلب: مكتبة العربية، 1973)، 231، الزبيدي، تاج العروس، 28: 64؛ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6 (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978)، 69؛ هلال، اللهجات العربية، 120.

³ أبو الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي، كتاب الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1961)، المقدمة 1: 40-42.

⁴ أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، (ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب، 1983)، 1: 348.

⁵ (ويسميه البعض بالإبدال الصوتي، كاللعنة، والكشكشة، والفحفة...) كما ورد في كتاب الجندي، في التراث، 1: 347.

⁶ إبراهيم محمد نجا، فقه اللغة العربية، (القاهرة: دار النيل للطباعة، 1957)، 153-154؛ صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط1 (بيروت: دار العلم للملايين، 1960)، 215-217؛ أنيس، من أسرار اللغة، 71؛ الجندي، في التراث، 1: 55؛ هلال، اللهجات العربية، 121.

ولقد أولى العلماء القدامى والمحدثون اهتماماً كبيراً لهذا النوع من الإبدال (الإبدال اللغوي)، الذي يعتمد على العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه، فهو عبارة عن إبدال الحروف بعضها من بعض على غير القياس⁷، ومن الأسباب التي أدت إلى هذا الإبدال⁸:

أخطاء الأطفال:

تحدث بسبب إبدال أطفال للأحرف المتقاربة في المخرج، مثل: (كتاب، تاب)، أو بقلب الشين سيناً: (شعر، سحر)، وذلك سعياً لسهولة النطق، وبسبب انشغال آبائهم في البيئة البدوية خاصة بأسباب العيش، فيشب الطفل دون أن يُصحح له نطقه أحد. ومع مرور الزمن تصبح هذه الكلمات مقبولة لديهم، بل يعتبرونها ظاهرة من ظواهر لغتهم، وتلك هي سنة التطور، وإلى هذا السبب يرجع بعض أنواع الإبدال اللغوي في الكلمات⁹.

أمراض الكلام الناتجة عن عيوب النطق:

مثل أن يلفظ السين ثاءً، أو الراء غيناً، وقد تنبه اللغويون القدامى إلى هذه الظاهرة، وذكروا لها أسماء مثل: اللغلة، الحبسة، الفأفة، اللغنة، اللكنة، الخنة... وقد يرث الطفل هذه العيوب عن أبيه، ثم يرثها منه جيل آخر وهكذا... فتصبح هذه الكلمات من ضمن لهجتهم¹⁰.

التصحيف¹¹:

الكتابة كانت من دون تنقيط ولا تشكيل في القرن الأول الهجري؛ وهذا الذي أدى إلى (التصحيف)، وكان للتصحيف أثر كبير في تشويه اللغة. ونلاحظ وجود التصحيف أكثر في الإبدال اللغوي الذي تسبب في نشأة لهجات عديدة.

وسنناقش بعض حالات الإبدال اللغوي وفق ترتيب يعتمد على مخارج الحروف وصفاتها، والتي تسمح للإبدال فيما بينها:

الإبدال بين الحروف المتجانسة.

الإبدال بين الحروف المتجاورة.

الإبدال بين الحروف المتقاربة.

الإبدال بين الحروف المتباعدة¹².

وسيُضاف إلى هذا التقسيم: ما حسبه اللغويون القدامى بدلاً وليس منهم.

ومع هذا التصنيف يمكن تحديد سبب الإبدال بدقة أكثر.

⁷ أبو الطيب، الإبدال، المقدمة 1: 9.

⁸ الجندي، في التراث، 1: 348-359.

⁹ الجندي، في التراث، 1: 354.

¹⁰ جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد الجاوي، (صيدا بيروت: المكتبة العصرية، 1986)، 1: 566؛ الجندي، في التراث، 1: 356-357.

¹¹ الجندي، في التراث، 1: 358-359.

¹² أنجب غلام نبي بن غلام محمد، الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية (رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، 1989)، 392.

3. الإبدال بين الحروف المتجانسة:

التجانس: اتحاد المخرجين للحرفين المبدل والمبدل منه مع اختلاف الصفة بينهما¹³، ومن هذه الأحرف¹⁴:
(الهمزة والهاء) و (الحاء والعين) و (الخاء والغين) و (الطاء والذال والتاء) و (الزاي والسين والصاد) و (الجيم والشين والياء) و (الطاء والذال والطاء) و (الباء والميم).

3.1. الإبدال بين الحاء والعين:

الحاء والعين مخرجهما واحد وهو وسط الحلق، ولكن الحاء مهموس رخو، والعين مجهور متوسط، ولاتحاد مخرجهما، سهل على بعض العرب الإبدال بينهما، فظهرت في بعض اللهجات إبدال الحاء بالعين، وذكر ابن جني (ت 392 هـ - 1002 م) هذه الحالة من الإبدال في كتابه¹⁵.

وقد ورد في قراءة لابن مسعود حول قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات 9:100)، أنه قرأ ﴿إِذَا بُحِّرَ﴾ بالحاء¹⁶، وكذلك قرأ ابن مسعود قوله تعالى: ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف 35:12) بإبدال الحاء في (حتى) عيناً، فقرأ ﴿عَتَىٰ حِينٍ﴾¹⁷.

وهناك أمثلة أخرى منها ما ينسب إلى هذيل: "اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض"، أي اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض¹⁸، وقد ذكر الفراء (ت 207 هـ 822 م) أنها لهجة بني أسد¹⁹، وقيل أنها لهجة هذيل ودليل ذلك أن عبد الله بن مسعود عندما قرأ ﴿عَتَىٰ حِينٍ﴾ وسمع ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه من رجل يكرر ما قرأه ابن مسعود فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن مسعود: "... أقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل"²⁰.

¹³ أحمد بن محمد البتاء، *إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر*، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، ط1 (القاهرة: عالم الكتاب، 1987)، 1: 112؛ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، *النشر في القراءات العشر*، تحقيق: علي محمد الضباع، (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى)، 1: 278؛ الجندي، في التراث، 1: 409.

¹⁴ غلام، *الإعمال والإبدال*، 393.

¹⁵ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإيضاح عنها*، ط1 (مصر: وزارة الأوقاف، 1999)، 1: 343؛ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، *سر صناعة الإعراب*، تحقيق: حسن هندواوي، ط1 (دمشق: دار القلم، 1985)، 1: 241.

¹⁶ محمد بن عمر الزمخشري أبو القاسم جار الله، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأوقال في وجوه التأويل*، ط3 (بيروت: دار المعرفة، 2009)، 1217؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، *الجامع الأحكام القرآن والتبيين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان*، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2006)، 22: 441؛ ابن جني، *المحتسب*، 1: 343؛ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أسير الدين الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط1 (بيروت: دار الفكر، 1999)، 10: 530.

¹⁷ الزمخشري، *الكشاف*، 515؛ ابن جني، *المحتسب*، 343؛ ابن جني، *سر الصناعة*، 1: 241؛ أبو حيان، *البحر المحيط*، 6: 274.

¹⁸ إبراهيم أنيس، *في اللهجات العربية*، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1965)، 95؛ تشيم راين، *اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية*، ترجمة: د. عبد الكريم مجاهد (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002)، 173.

¹⁹ صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، *اللهجات العربية في معاني القرآن للقرآن دراسة نحوية و صرفية ولغوية*، ط1 (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1986)، 114-115.

²⁰ الزمخشري، *الكشاف*، 515؛ محمد بن عمر الزمخشري أبو القاسم جار الله، *الفائق في غريب الحديث والأثر*، تحقيق: علي محمد الجواوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 (لبنان: دار المعرفة)، 2: 391؛ ابن جني، *المحتسب*، 1: 343.

وتسمى هذه الظاهرة بفحفة هذيل، وإن كانت هذه اللهجة ليست خاصة بها بل يشاركها بعض القبائل العربية مثل ثقيف وبنو أسد وقيس²¹، ورفض المحدثون هذه التسمية وقالوا: "لو أنّ العين هي التي قُلبت حاءً لصحَّ أن تُسمى هذه الخاصية فحفة"²²، وهذا القول أقرب إلى المنطق والتفكير السليم.

ورأي بعض العلماء أنّ هذا ليس إبدالاً إنّما لغتان، ودليل ذلك أنّ الحاء والعين لم تذكر من حروف الإبدال²³، ولكن لماذا أبدلوا حتى ولم يبدلوا حين، وقد عللوا ذلك بأنّ التاء حرف مشددة فأبدلوا الحاء بالعين التي تُغْتَبَر وسطاً بين الشدة والرخاوة بالإضافة إلى أنّها مجهورة، فهي أسهل للنطق بها مع التاء الشديدة، كما أنّ هذا الإبدال يؤدي إلى تناسب الأصوات بين حروف الكلمة، ويرى بعض الباحثين أنّ هذا الإبدال حدث منعاً لتكرار الحاء في الكلمتين (حتى حين)²⁴.

التعليل الصوتي لهذه الظاهرة:

هو لجوء القبائل البدوية كقبيلة قيس - إلى إبدال الحاء عيناً - بسبب تفضيلها الأصوات المجهورة لقوتها في النطق²⁵، أمّا بالنسبة لقبيلة هذيل فيُفسر هذا الإبدال عندها إمّا لتقليد هذيل للقبائل البدوية كتميم وغيرها في إبدالهم للصوت المهموس بالصوت المجهور.

وقد فسر أحد المحدثين هذه اللهجة بأنّ - عتّى - وردت في اللغات السامية (في العربية الجنوبية) بمعنى (عدّ) و(عديّ)، (عد) و(عدي)، وإذا قارنا بين الأحرف وجدنا أنّ العين تقابل الحاء فإنّ (عتّى) الهذلية جاءت وسطاً بين (حتىّ) العربية و(عدي) السامية²⁶.

وفسرها البعض أنّها الحاء التي فيها حشرجة كما وصفها ابن جني بقوله: "بحة"²⁷.

3.2. من أحرف اللسان (الزاي والسين والصاد)²⁸:

إنّ اتحاد هذه الأحرف الثلاث في مخارجها مع اتفاقها في صفة الرخاوة يسمح لها بالإبدال فيما بينها، ومن ذلك:

3.2.1. الزاي والسين:

إذا جاء بعد السين قاف يمكن إبدال السين بحرف الزاي، ويُنسب هذا الإبدال إلى قبيلة كلب حيث يقولون (زقر) في (سقر)²⁹، والتعليل الصوتي لذلك هو وجود علاقة صوتية (الجهر) بين الزاي والقاف، وكذلك بين الزاي والسين

²¹ اسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: د. محمد محمد تامر، (القاهرة: دار الحديث، 2009)، 729 (عتّى)؛ أبو حيان، البحر المحيظ، 6: 274؛ جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: عبد الحكيم عطّية، ط2 (بيروت: دار التبروتي، 2006)، 155؛ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط1 (مصر: المكتبة التوفيقية، 1999)، 2: 425؛ سائد ياسين أسعد كبهية، ما بُني على أشعار هذيل من تصاريف اللغة وقواعدها (رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1988)، 135.

²² أنيس، في اللهجات العربية، 95-96؛ عبد الجبار عبد الله العبيدي، "الإبدال في اللهجات وأثر الصوت فيه"، مجلة جامعة الأنباء للغات والآداب 3 (2010): 232.

²³ أبو البقاء بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: إميل بدع يعقوب، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، 347-348؛ ابن عصفور علي بن مؤمن الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط8 (بيروت: مكتب لبنان، 1994)، 213؛ ابن منظور، اللسان، 4: 72 (بغز)؛ ابن جني، سر الصناعة، 241.

²⁴ العنبدى، في التراث، 1: 373؛ راين، اللهجات العربية القديمة، 174.

²⁵ العبيدي، "الإبدال في اللهجات"، 233.

²⁶ راين، اللهجات العربية القديمة، 172-177؛ العبيدي، "الإبدال في اللهجات"، 233.

²⁷ عبد الكريم، معاني القرآن للفراء، 115.

²⁸ العبيدي، "الإبدال في اللهجات"، 243.

²⁹ ابن جني، سر الصناعة، 196.

فإنه بسبب توافقهما في اتحاد المخرج وبصفتي الرخاوة والصفير يسهل التبديل فيما بينهما، وكعادة القبائل البدوية في ميلها إلى الجهر فقد مالت إلى الزاي الذي يناسب القاف في الجهر.

وقد أطلق القدماء على النطق بصوتين متماثلين المشاكلة أو التقريب بينما أطلق عليها المحدثون اسم المماثلة³⁰. ولم ترد قراءة قرآنية لهذه الحالة من الإبدال إلا ما رواه الأصمعي (216 هـ - 831 م) عن أبي عمرو (ت 154 هـ) أنه سمعه يقرأ: ﴿اهدنا الزراط المستقيم﴾، وقيل أنها رويت عن حمزة الكوفي (156 هـ) أيضاً³¹، وقد اختلفوا في قبول هذه القراءة حيث لم يذكرها معظم قراء القراءات السبع، لمخالفتها للرسم القرآني، حيث كُتبت في الرسم القرآني بالصاد؛ وكذلك لم توافق النحات بشرط الإبدال وهو أن تكون السين ساكنة ويليهما دال، مثل: (يزدل) في (يسدل)³²، أو متحركة ويأتي بعدها قاف حيث تبدل السين إلى زاي.

كما أن بعض اللغويين اعتبروا أن الأصمعي سمعها بشكل خاطئ وقالوا: "ربما قرأها أبو عمرو بالمضارعة - أي بين الصاد والزاي - فظن أنها زاي"³³، وأيضاً فقد ورد في إعراب القرآن للنحاس (338 هـ - 949 م): "ولا يجوز أن يجعل زايًا إلا أن تكون ساكنة"³⁴.

ويمكن ترجيح القراءة بالزراط لعدة أسباب³⁵؛ منها توافق صوت السين مع الزاي والزاي مع الطاء، مما يجعل إبدال الزاي من السين مقبولاً، حيث ورد عند العرب إبدال السين زايًا في حالات غير التي تقيد بها النحات حتى وإن لم يكن هناك حرف مستعلٍ، مثل: (سَلع - زَلع)، (رَجست - رَجزت)³⁶، فيإبدال الزاي مع الحرف المستعلي أولى.

وأما بالنسبة لاتهام الأصمعي بأنه سمع خطأ وروى ما سمعه دون التأكد منه فهذا غير صحيح لأن هذا الأمر يجعله متهمًا بعدم الضبط، بينما هو عالمٌ بالشعر والغريب والمعاني، وقد عُرف بالدقة والضبط فهذه التهمة مردودة، ولو أنه سمعها بالمضارعة لقال ذلك، كما أن بعض القبائل ربما إذا جاء بعد السين المتحركة قاف أو طاء، فإنها تبدل السين زايًا، وإن كان انتشار إبدال السين التي جاء بعدها قاف إلى زاي أكثر.

وبالنظر إلى هذه الاختلافات حول إمكانية قراءة (الزراط) عوضاً عن (السرائط) فما توصلوا إليه من الناحية الصوتية مقبول، ولكن نحن أمام قراءة قرآنية، وقد وضع القراء ضوابط وقواعد لا يمكن تجاوزها، ومنها موافقتها للرسم العثماني "فهذه الآية - بالزراط - لم توافق الرسم العثماني"، ولهذا السبب فإن هذه القراءة وإن وردت تعتبر شاذة؛ ولا مانع من الإفادة من القراءات الشاذة لدراسة اللهجات العربية، ولكن لا يمكن أن نقر بصحتها إلا إذا انطبقت عليها شروط القراء وضوابطهم.

³⁰ العبيدي، "الإبدال في اللهجات"، 243.

³¹ القرطبي، الجامع، 1: 228؛ أبو حيان، البحر المحيط، 1: 45؛ أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر بن مجاهد البغدادي، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، ط2 (مصر: دار المعارف، 1980)، 105-106.

³² محمد بن الحسن الرضي الاسترأبادي نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد العالم عبد القادر البغدادي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1975)، 3: 231-233؛ ابن منظور، اللسان، 11: 333؛ غلام، الإعلال والإبدال، 403؛ (سدل) ومعناه استرسل الثوب وأرخاه وكذلك الشعر.

³³ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، تدقيق: عبد العزيز رياح وأحمد يوسف الدقاق، ط2 (دمشق وبيروت: دار المأمون للتراث، 1993)، 1: 51؛ أبو حيان، البحر المحيط، 1: 45.

³⁴ أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: خالد العلي، ط2 (القاهرة: دار المعرفة، 2008)، 14.

³⁵ غلام، الإعلال والإبدال، 404.

³⁶ أبو الطيب، الإبدال، 2: 11؛ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أسير الدين الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد وم رمضان عبد التواب، ط1 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998)، 1: 325.

3.2.2. السين والصاد:

يجوز إبدال السين صاداً إذا وقع بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء، وهذا الإبدال خاص ببني تميم أو بني عنبر أو بني العنبر أو بني الكلب؛ وهم من القبائل البدوية التي تميل إلى الأصوات المفخمة، وحرف السين هو الأصل واستعماله كان الأكثر في كل الأمتلة التي وردت حول إبدال الصاد من السين³⁷.

ومن القراءات الواردة في إبدال السين صاداً ﴿وَأَسِغْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسِغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان 20:31)، قرأ ابن عباس ويحيى بن عمار بالصاد³⁸، وهي قراءة شاذة فالسين هي الأصل إنما أبدلت لوجود الغين. وكذلك ﴿بِاسْقَاتٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بِاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضْدِيدٌ﴾ (ق 10:50)، ولأجل القاف قرأ قطبة بن مالك (الصحابي) ﴿بِاصْقَاتٍ﴾ بالصاد وهي قراءة شاذة، أمّا الجمهور فقد قرؤوا ﴿بِاسْقَاتٍ﴾ بالسين³⁹.

قرأ أغلب القراء بإبدال السين صاداً في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة 6:1)، كما ذكر أبو حيان (414 هـ) أنّ لهجة ﴿الصِّرَاطِ﴾ بالصاد هي لهجة قريش، أمّ لهجة باقي العرب فهي ﴿السِّرَاطِ﴾ بالسين، ولا يعني هذا أنّ قريش تلجأ إلى الصاد في كل الكلمات الواردة بالصاد في الآيات السابقة، لأنه لا يوجد دليل على قرأه من قريش قرؤوا بها، كما أنّهم اعتبروا القراءات السابقة التي ذكرتها قراءات شاذة⁴⁰.

أمّا كلمة ﴿الصِّرَاطِ﴾ فقد قرأ بها أغلب القراء والتعليل الصوتي لها هو مجيء حرف مستعمل مطبق مجهور وهو الطاء بعد السين المهموس الذي فيه تسفل؛ فهذا صعب على اللسان لذلك أبدلوا السين صاداً (لاتحاد مخرجهما)، ليوافق المطبق المجهور وذلك أخف على اللسان وأسهل⁴¹.

وكذلك فإنّ التعليل الصوتي لإبدال السين صاداً إذا وقع بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء هو سهولة الإبدال بين السين والصاد وذلك للسبب الذي ذكرته من اتحاد المخرج، واجتماعهما في صفتي الرخاوة والهمس، ومما يجعل النطق صعباً هو مجيء الأحرف المستعلية (الغين والقاف والحاء والطاء) بعد حرف السين المستقل، وهذا لا يناسب القبائل البدوية التي تلجأ إلى السرعة وإلى الأسهل في اللفظ فأبدلوا السين صاداً⁴²، وهذا أيضاً ما يسمى بالمماثلة مثل (بِصَاقُونَ) في (بِصَاقُونَ)، و(مَسْ صَقْر) في (سَقْر) وغيرها⁴³....

وعلى سيويوه (180 هـ - 796 م) أنّ الصاد أفشى من السين وهي موافقة للقاف في الإطباق، بالإضافة إلى اتّحادهما في المخرج، وتوافقهما في صفات الهمس والصفير والرخاوة، ممّا يجعلهما متماثلين إلّا في الإطباق، وعلل القراء هذه الظاهرة بتجانس الأصوات بعد القلب، وقال إنّها لهجة قريش؛ واستبعد بعض الباحثين ذلك لأنّ البيئة الحضرية تميل إلى إخراج الحروف من مخارجها؛ وتعطي الأصوات حقها؛ ولكن يمكن تعليل ذلك بما ذكر سابقاً، بسبب اتحاد

³⁷ ابن جني، سر الصناعة، 1: 211؛ ابن جني، المحتسب، 2: 168؛ الزمخشري، الكشاف، 838؛ الاسترأبادي، شرح شافية، 3: 230 وما بعدها؛ أبو حيان، البحر المحيط، 8: 418، 9: 531؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1995)، 13: 327.

³⁸ ابن جني، المحتسب، 2: 168؛ الزمخشري، الكشاف، 838؛ القرطبي، الجامع، 16: 485-486؛ أبو حيان، البحر المحيط، 8: 418.

³⁹ ابن جني، المحتسب، 2: 282، 407؛ الزمخشري، الكشاف، 1044؛ القرطبي، الجامع، 19: 433؛ أبو حيان، البحر المحيط، 9: 531؛ الألويسي، روح المعاني، 3: 327.

⁴⁰ أبو حيان، البحر المحيط، 1: 45؛ غلام، الإعلال والإبدال، 409.

⁴¹ غلام، الإعلال والإبدال، 407.

⁴² ابن جني، سر الصناعة، 1: 211-212؛ ابن يعيش، المفصل، 5: 414؛ الجدي، في التراث، 2: 446-447؛ العبيدي، "الإبدال في اللهجات"، 244.

⁴³ ابن جني، سر الصناعة، 211-212؛ ابن منظور، اللسان، 4: 372؛ 1: 329.

مخرجيهما؛ واتفاقهما في أكثر الصفات التي ساعدت الحضر على استخدام أحدهما مكان الآخر⁴⁴، أمّا التعليل الصوتي لبني تميم فهو ميلهم إلى الأصوات المفخمة لذلك لجؤوا إلى إبدال السين بالصاد المطبق المفخم.

وكذلك فإنّ قبيلة قيس تبدل الصاد بالسين في (لسق) فتقول (لصق)، وهذا يعارض ما نعرفه عن القبائل البدوية حول ميلهم للحروف المفخمة، وربما يعود السبب إلى تجاور بعضهم لأهل الحجاز فتأثروا بنطقهم؛ أو قد يكون السبب في ذلك هو أنّ نطق السين أقرب للشدة بسبب ضيق مخرجها، أمّا الصاد فهو يتميز بالرخاوة⁴⁵.

4. الإبدال بين الحروف المتجاورة:

وهو الإبدال بين الحرفين اللذين يكون مخرجا صوتيهما متجاورين ولا يفصل بينهما فاصل؛ ومن هذه الأصوات التي وقع فيها الإبدال: (الهمزة والعين) و (الهاء والحاء) و (العين والغين) و (القاف والكاف) و (الراء واللام) و (اللام والنون) وحرف الفاء بسبب شدة قرب مخرجه من الناء عُدَّ مع الناء من الأصوات المتجاورة⁴⁶.

4.1. من أحرف الحلق (الهمزة والعين):

مخرج الهمزة من أقصى الحلق، ومخرج العين من وسط الحلق، فالهمزة والعين متجاوران في المخرج، كما أنّهما يتصفان بالجهر، وبذلك تكون العين أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة؛ وهذا ما سوَّغ الإبدال بين الهمزة والعين عند بعض القبائل العربية مثل تميم وقيس وأسد⁴⁷.

ونلاحظ أنّ القبائل التي نسبت إليها هذه اللهجة (إبدال الهمزة بالعين) والتي سميت بـ (العنعنة)⁴⁸؛ هي قبائل بدوية تميل إلى تحقيق الهمز مع ميلها إلى الجهر بالأصوات لإيضاحها؛ وعند مبالغتها في تحقيق الهمز فإنّ تلك القبائل كانت تستبدل أقرب أصوات الحلق للهمزة صفةً ومخرجاً وهو صوت العين⁴⁹، وقد أشار الأزهري (ت 370 هـ - 980 م) إلى تلك المبالغة حيث قال: "ومن تحقيق الهمز قولك: يا زيد من أنت؟، كقولك: من عنت؟"⁵⁰.

ويكون هذا الإبدال في أول الكلمة مثل قولهم: (أشهد عنك رسول الله) عوضاً عن (أنك)⁵¹، أو في وسطها مثل: (الأشن)، (العُشن) ومعناها قديم الشحم⁵²، أو آخرها: (صبأْتُ على القوم وصبغْتُ عليهم) بمعنى أن تدخل عليهم غيرهم⁵³.

ومن أمثلة القراءات القرآنية في العنعنة:

⁴⁴ أبو بشر عمرو بن عثمان الحارثي المُلقَّب بسبيويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988)، 4: 482-478؛ عبد الكريم، معاني القرآن للقرّاء، 119-121؛ ابن منظور، اللسان، 4: 372.

⁴⁵ ابن منظور، اللسان، 10: 329؛ العبيدي، "الإبدال في اللهجات"، 249.

⁴⁶ غلام، الإعلال والإبدال، 438.

⁴⁷ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الجمهرة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1 (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، 1: 216؛ الاستراباذي، شرح شافية، 4: 249؛ السيوطي، المزهري، 1: 221-222؛ ابن جني، سر الصناعة، 1: 241، 245، 248، 249، 250.

⁴⁸ ابن فارس، الصحاحي، 56؛ أبو الحجاج يوسف البلوي المالقي، ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة، (بيروت: المكتبة العلمية، 2013)، 2: 432؛ أنيس، في اللهجات العربية، 97.

⁴⁹ أنيس، في اللهجات العربية، 97-98؛ العبيدي، "الإبدال في اللهجات"، 222.

⁵⁰ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، 2001)، 15: 496.

⁵¹ ابن منظور، اللسان، 13: 36؛ السيوطي، المزهري، 221؛ أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون، الأمالي، شنور الأمالي، النوادر، ط2 (مصر: دار الكتب المصرية، 1926)، 2: 79.

⁵² أبو الطيب، الإبدال، 2: 558؛ القالي، شنور الأمالي، 2: 79.

⁵³ أبو الطيب، الإبدال، 2: 555.

نسبت بعض القراءات في هذه اللهجة - وخاصة لإبدال أُنْ وأُنْ عِيناً - إلى تميم وقيس وأسد⁵⁴، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ﴾ (المائدة 5:52) فُرِّتٌ ﴿عَنْ يَأْتِي﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ (النحل 16:103) فُرِّتٌ ﴿عَنْهُمْ﴾، حتى أن بعضهم - لكثرة هذا النوع من الإبدال - عَرَّفَ بعضهم العننة بأنها "إبدال همزة أن المفتوحة عيناً"⁵⁵.

أما إبدال عين همزة فقد كانت قليلة الورد، ومما ورد عن الفراء: يقال: "يَوْمٌ عُنْكَ وَيَوْمٌ أُنْكَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ"⁵⁶.

4.2. من أحرف اللسان (القاف والكاف):

مما يسوغ لإبدال القاف بالكاف أو العكس، هو تجاور مخرجي الحرفين مع اجتماعيهما في صفة الشدة؛ ومن ذلك: يقال: ﴿ظَلَّ مُقْرَدِحًا، مُكْرَدِحًا﴾ أي دائماً في العمل⁵⁷، ويقال أيضاً: ﴿قَاتَعَهُ، وَكَاتَعَهُ (الله) فِي مَعْنَى قَاتَلَهُ اللهُ﴾⁵⁸، ويقال: (النقيب والنقيب) ومعناه عريف القوم⁵⁹. ومن القراءات القرآنية التي وردت في هذه اللهجة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كَشَطَتْ﴾ (التكوير 81:11)، قرأ عبد الله بن مسعود ﴿كَشَطَتْ﴾ بالقاف، كما ورد في القلب والإبدال لابن السكيت (ت 858 م، 244 هـ): "وقد كَشَطَتْ عنه جلده، كَشَطَتْ"، وورد عن الفراء: "وقريش تقول كَشَطَتْ، وقيس وميم تقول كَشَطَتْ"⁶⁰، وهذا يعني أن قبائل الحضر تميل إلى الهمس لذلك لفظت الكلمة بالكاف المهموس بينما قبائل البدو التي تميل إلى الجهر فقد لفظت الكلمة بحرف القاف المجهور.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى 9:93)، قرأ الجمهور "تقهر" بالقاف، وقرأها عبد الله بن مسعود وإبراهيم التيمي (95 هـ) والشعبي (106 هـ - 725 م) بالكاف؛ وقد سمعها الفراء من أعرابي من بني الأسد بالكاف حيث قال: "وسمعت بعض بني غنم بن دودان من بني أسد يقول (فلا تكهر)"، يقال: ﴿فَهَرْتُهُ، أَفَهَرْتُهُ، فَهَرْتُهُ وَكَهَرْتُهُ، أَكَهَرْتُهُ، كَهَرْتُهُ﴾⁶¹، وقرأ ابن مسعود ﴿قَافُورًا﴾ بالقاف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان 76:5).

مما سبق نلاحظ أن ابن مسعود قرأ بالكاف في ﴿تَقْهَرْ﴾، بينما قرأ بالقاف في ﴿كَشَطَتْ﴾ و﴿كَافُورًا﴾، وكذلك فإنَّ الفراء قال أنه قد سمع أعرابياً يقرأ ﴿فَلا تكهر﴾ بالكاف، رغم أنه قال: "قريش تقول كَشَطَتْ، وقيس وميم وأسد تقول كَشَطَتْ". فما هو التعليل الصوتي لهذا الأمر؟

إنَّنا نعوذ استخدام الأعرابي الكاف عوضاً عن القاف في ﴿تَقْهَرْ﴾ إلى أن قبيلته لربما كانت قد جاورت قريش فتأثرت بلهجتها، ولكن كيف نعلل قراءة ابن مسعود لبعض الكلمات بإبداله قافها كافاً، وأخرى بإبداله كافها قافاً؟

القاف والكاف مخرجاهما متقاربان وهما حرفان شديدان، وهذا ما سوغ الإبدال بينهما، أمَّا سبب اختيار بعض القبائل مثل أسد وميم وقيس للقاف، فلأنَّه مجهور ويناسب ما تميل إليه القبائل البدوية من الخشونة وتفضيلها للأصوات المجهورة؛ كما أن الكاف المهموسة ناسبت القبائل الحضرية فنظمت بها.

⁵⁴ المالقي، ألف باء في أنواع الآداب، 2: 432؛ الجندي، في التراث، 1: 365، 366.

⁵⁵ أبو الحسن البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمد قراعة، ط2 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990)، 1: 209؛ السبوي، المنزه، 1: 221، 222؛ ابن جني، سر الصناعة، 1: 241.

⁵⁶ أبو الطيب، الإبدال، 2: 556.

⁵⁷ أبو الطيب، الإبدال، 2: 353.

⁵⁸ أبو الطيب، الإبدال، 2: 355.

⁵⁹ أبو الطيب، الإبدال، 2: 359.

⁶⁰ أبو الطيب، الإبدال، 2: 356؛ ابن جني، سر الصناعة، 277؛ وقال بعد أن ذكر مثل ذلك: "وليس القاف في هذا بدلاً عن الكاف لأنَّهما لغتان لأقوام مختلفين".

⁶¹ أبو الطيب، الإبدال، 2: 256.

أما بالنسبة لقراءات ابن مسعود المختلفة فربما راعى في قراءته تناسب أصوات الحروف في الكلمة الواحدة كما في كلمة ﴿الصراط﴾، حيث أبدلت السين صاداً لتناسب الطاء في الاستعلاء (رغم أنَّ الطاء لم تأت بعد السين بشكل مباشر)، وكذلك فإنَّ ﴿كشطت﴾ جاء بعدها الحرف المستعلي - الطاء - فأبدلت الكاف طاء مراعاةً لتناسب الأصوات في الكلمة الواحدة.

أما في كلمة ﴿تقهر﴾ فقد جاءت الهاء المهموسة بعد القاف فأثرت بها، واستبدلتها بحرف مهموس وهو الكاف؛ ونلاحظ هنا أنَّ التأثير جاء على الحرف الذي قبلها، كما أثرت الغين في الحرف الذي قبلها في كلمة "أسبع" فحولته إلى صاد⁶²؛ والله أعلم، فهذا النوع من الإبدال سماعي ولا يعتمد على قاعدة عامة، إنَّما يعتمد على انسجام أحرف الكلمة مع بعضها البعض، بالإضافة إلى انسجام الأحرف المنطوقة مع البيئة البدوية التي تميل إلى الجهر والشدة والتفخيم، أو البيئة الحضرية التي تميل إلى الهمس والترقيق، لذلك نجد بعض الكلمات تشدُّ عمّا انتشر في بيئتها، فهي سماعية كما قلت ولربما يعود ذلك لتأثر القبائل بعضها ببعض، أو أسباب أخرى.

4.3 الفاء والطاء:

الفاء هو الصوت الشفوي الأنساني، وقد ذُكر في كتاب التمهيد للجزري أنَّ مخرجه من "أطراف الثنايا العليا وباطن الشفة السفلى"، وهو حرف مهموس رخو مستقل، أمَّا مخرج الثاء هو "ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا"، وهو حرف مهموس رخو مستقل⁶³. ونلاحظ تقارب المخارج بين الفاء والطاء، بالإضافة إلى اشتراكهما في صفتي الرخاوة والهمس؛ كل ذلك سهل للحرفان من الناحية الصوتية الإبدال بينهما⁶⁴.

ومن الأمثلة الواردة حول هذا الإبدال في اللهجات العربية القديمة ما ورد في كتاب الإبدال لأبي الطيب (ت 351 هـ - 962 م):

يقال: "جلست في فناء داري، وثناء داري"، وقد اعتبر ابن جني أنَّ الكلمتين أصلان لأنَّ الفعلين (ثنا وفنا) يمكن تصريفهما⁶⁵.

ويقال: "فلان ذو ثروة وذو فروة" دليل الغنى⁶⁶.

ويرى د. ليتمان (1958 م) أنَّ هذا الإبدال قديم جداً عند العرب فهو موجود في لهجات المغرب الحالية، كما أنَّه موجود في جنوب بلاد العرب⁶⁷.

ما ورد في القراءات القرآنية حول هذا النوع من الإبدال:

ورد في كتاب الإبدال لأبي الطيب: "يقال للقبر: الجدث والجدف والجميع الأجدث والأجذاف"، قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ (يس: 50: 36)، وعن الفراء الجدف لغة تميم وقيس والجدث

⁶² غلام، الإعلال والإبدال، 464.

⁶³ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قَدَّوري حَمَد، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، 148.

⁶⁴ الجندي، في التراث، 2: 417.

⁶⁵ أبو الطيب، الإبدال، 1: 184؛ ابن جني، سر الصناعة، 1: 250؛ وأمَّا قولهم: "فناء الدار وثناؤها" فأصلان أمَّا "فناؤها" فمن فني تفتي.. وأمَّا "ثناؤها" فمن ثني يثني.. فإن قلت هلا جعلت أجمعهم على أفنية بالفاء ذلالة على أنَّ الثاء في "ثناء" بدل من الفاء في "فناء" كما زعمت أنَّ فاء جدف بدل من ثاء جدث لإجماعهم على أجداث بالثاء. فالفرق بينهما وجودنا لثناء من الاشتقاق ما وجدنا لثناء. ألا ترى أنَّ الفعل ينصرف منهما جميعاً ولسنا نعلم لجدف بالفاء تصرف جدث فلذلك قضينا بأنَّ الفاء بدل من الثاء.

⁶⁶ أبو الطيب، الإبدال، 1: 192.

⁶⁷ الجندي، في التراث، 2: 418.

لغة الحجاز⁶⁸. وقرأ ابن مسعود: ﴿من كل حذب ينسلون﴾ (الأنبياء 21:96) يقصد جدث، وقد قرأ بالثاء الكليبي وابن عباس والضحاك⁶⁹.

قال ابن جنبي: "ألا ترى أنَّ الثاء أذهب في التصرف من الفاء" فهذا يدل على أنَّ ابن جنبي يميل إلى اعتبار الثاء هي الأصل وتحولت إلى فاء في لغة تميم، ويقول ابن جنبي في ذلك: "هو القبر - الجدث - بلغة الحجاز و- الجدف - بالفاء لبني تميم"⁷⁰.

ومثل ذلك (فومها وثومها)، قرأ ابن مسعود وعبد الله بن عباس ﴿ثومها﴾ عوضاً عن ﴿فومها﴾ في قوله تعالى: ﴿من يقلها وقتائها وفومها﴾ (البقرة 2:61)، وقال ابن جنبي: الفوم والثوم الحنطة⁷¹، وقيل: من البقول. وإنَّ إبدال الفاء من الثاء قد ورد بكثرة في تاريخ اللغات فكلمة الثوم في العبرية **SUM** شوم، وبالآرامية **TUMA** بالثاء⁷². ويرجح أكثر العلماء أنَّ الثاء هي الأصل في ﴿فومها﴾ أي أنَّ الفاء بدل، وقد أكدَّ ابن جنبي أنَّ الثاء لا تكون إلا أصلاً، ومن خلال هذه القراءات نرى أنَّ ابن عباس قرأ بالثاء وهو قرشي، وابن مسعود أيضاً قرأ بالثاء وهو من هذيل التي تعتبر من القبائل الحجازية؛ ولكن ورد كثير من الأمثلة تبين أنَّ تميم تميل إلى الثاء أكثر من الفاء من ذلك قولها: "تلنمت على الفم" وغيرهم يقول (تلنمت)⁷³، نلاحظ من ذلك ميل القبائل البدوية إلى الثاء أكثر من الفاء.

التعليل الصوتي لهذا النوع من الإبدال:

إنَّ القبائل البدوية تميل دائماً إلى الأحرف الأكثر وضوحاً عند النطق، وإنَّ الثاء أكثر وضوحاً عند لفظها من الفاء - بالرغم من اشتراكهما بصفة الهمس - لذلك مالت إليها قبيلة تميم حيث نسبها ابن السكيت أيضاً في كتابه (القلب والإبدال) إلى بني تميم، وكذلك مالت إليها قبيلة أسد وطبي، بينما آثرت القبائل المتحضرة الفاء كقبيلة قريش وبني سليم التي كانت تعتبر من القبائل الغنية ولها صلات بقريش⁷⁴.

5. الإبدال بين الحروف المتقاربة⁷⁵:

إنَّ تقارب مخارج الحرفين مع الاتفاق في بعض الصفات فيما بينهما يسوغ الإبدال بين الحرفين، والتقارب عند معظم العلماء يكون في التقارب في المخرج والصفة، أو في المخرج فقط، أو في الصفة فقط⁷⁶، ومن الحروف المتقاربة والتي وقع فيها إبدال: (الطاء والضاد) و(الكاف والشين) و(الطاء والسين) و(الطاء والزاي) و(الذال والذال)⁷⁷.

5.1. الطاء والضاد:

إنَّ تقارب مخارج الضاد والطاء مع اتفاقهما في أكثر الصفات (الجهر والإطباق والاستعلاء والإصمات) سهَّل الإبدال بين الحرفين في بعض الكلمات. ومن الكلمات التي وردت في كتاب الإبدال لأبي الطيب حول هذا الإبدال:

⁶⁸ أبو الطيب، الإبدال، 1: 192.

⁶⁹ الجندي، في التراث، 2: 417.

⁷⁰ ابن جنبي، المحتسب، 2: 66.

⁷¹ ابن جنبي، المحتسب، 1: 88؛ أبو حيان، البحر المحيط، 2: 61.

⁷² الجندي، في التراث، 2: 417.

⁷³ ابن السكيت يعقوب بن إسحاق، (كنز الحقاظ) كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط1 (لبنان: مكتبة لبنان، 1998)، 493؛ الجندي، في التراث، 2: 418.

⁷⁴ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4 (بيروت: دار الساقية، 2001)، 8: 109؛ الجندي، في التراث، 2: 418-419.

⁷⁵ البتاء، إتحاف فضلاء البشر، 1: 112؛ ابن الجزري، النشر، 1: 278؛ الجندي، في التراث، 1: 409.

⁷⁶ الجندي، في التراث، 1: 409.

⁷⁷ غلام، الإعلال والإبدال، 458.

العِضْلَانُ، والعِظْلَانُ: عضل أو عظل معناه الفأر أو الجرذ⁷⁸.

" الأُظْ، والأَرْضُ: قوائم الدابة، والأشهر فيه الضاد"⁷⁹.

" اللحياني: يقال: فاضت نفسه، وفاظت نفسه، أي خرجت⁸⁰.

ولكن أئيهما الأصل الظاء أم الضاد ؟

إذا عدنا إلى القوانين الصوتية التي تقول أن الإنسان يلجأ إلى أسهل الطرق في نطقه، يمكن أن نعتبر الظاء هي الأصل، أمّا الضاد فقد تكون قد تطورت عن الظاء؛ فالصوت الرخو يتطور إلى نظيره الشديد، والقبائل البدوية تميل إلى الشدة في اللفظ، وهذا ما جعلها تفضل الضاد لذلك نسبوا الضاد إلى تميم، وأمّا القبائل الحضرية فتلجأ إلى الأصوات الرخوة فنسبوا الظاء إلى أهل الحجاز.

ومن القراءات التي وردت وتؤيد ذلك: أنّه ورد في مصحف ابن عباس وعائشة (وهما حجازيان) أنّ الضاد كتبت بالظاء⁸¹، كما قرأها ابن محييين (ت 123 هـ) وابن كثير (120 هـ) الحجازيان بالظاء في قوله تعالى: ﴿بِظُنِينٍ﴾ بدل ﴿بِضُنِينٍ﴾ في آية ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ (التكوير 81:24)⁸².

وقد ورد في بعض الروايات أنّ بعضاً من قيس تلفظ بالظاء، ويمكن أن نعزو هذا الأمر إلى أنّ بعض قبائل قيس المجاورة للحجاز هي التي كانت تنطق الكلمة بالظاء لتأثرها بالبيئة الحضرية؛ وعن الفراء أنّه عزا إلى قضاة و تميم وقيس (فاضت نفسه) بالضاد⁸³، فالقبائل البدوية من تميم وأسد وقضاة.. هي التي تميل إلى لفظ الضاد، أمّا القبائل التي كانت قريبة من قريش فتميل إلى لفظ الكلمات بالظاء مثل عذرة⁸⁴.

وكما قرر ابن جني بجواز الإبدال بين الحرفين إذا كان المعنى نفسه في الكلمتين، أمّا إذا اختلف المعنى، فقد اعتبر أنّ كلاً من الحرفين هو أصل بذاته، من ذلك ﴿ولا الضالين﴾ (الفتح 7:1) حيث يتغير المعنى إذا أبدلنا الضاد بالظاء وهذا لا يجوز، وإنّ الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس في هذا الإبدال في بعض الآيات القرآنية، هو الذي أدى إلى اختيار حرفي الظاء والضاد لدراسة الإبدال فيما بينهما، فكلمة ﴿الضالين﴾ من (الضلال) الذي هو ضد (الهدى) بينما (الظالين) بالظاء تأتي بمعنى (الدائمين)، فإذا أبدلنا الضاد في كلمة ﴿الضالين﴾ إلى ظاء يتغير المعنى إلى معنى جديد، لم يردده الله في هذه الآية وهذا لا يجوز، فلا يمكن تطبيق هذا الإبدال على كل كلمات القرآن الكريم.

كما وردت آية ﴿ضلّ من تدعون إلا إياه﴾ (الإسراء 67:17)، وفي هذه الآية إذا أبدلنا الضاد بالظاء يتغير معنى الآية الذي أرادته الله تعالى فيها، فظلاً هو الدوام، مثل ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ (النحل 16/58، الزخرف 17:43)، وهذا أيضاً لا يجوز.

وقد حكى ابن جني "أنّ من العرب من يجعل الضاد ظاءً مطلقاً في كلامهم، وهذا غريب..."⁸⁵، وقد مال بعض العرب إلى إبدالها لصعوبة لفظ حرف الضاد، فمنهم من أبدلها بالظاء، لتقارب مخارجهما، واتفقهما بكثير من الصفات،

⁷⁸ أبو الطيب، الإبدال، 2: 271.

⁷⁹ السيوطي، المزهر، 1: 562.

⁸⁰ أبو الطيب، الإبدال، 2: 267؛ السيوطي، المزهر، 1: 561-562.

⁸¹ الجندي، في التراث، 2: 427-428.

⁸² البناء، إتحاف فضلاء البشر، 573-574.

⁸³ ابن منظور، اللسان، 7: 211؛ الجندي، في التراث، 2: 429.

⁸⁴ جواد علي، المفصل، 4: 170-171؛ الجندي، في التراث، 2: 249.

⁸⁵ ابن الجزري، التمهيد، 141.

ومنهم من لفظها ممزوجة بالطاء، ومنهم من أخرجها لاماً مفخمة، فحرف الضاد من الصعب نطقه وخاصة عن طريق التعليم، فما يزال بعض البدو وأهل العراق إلى الآن يلفظون الضاد قريبة جداً إلى حرف الطاء⁸⁶.

6. الإبدال بين الأحرف المتباعدة⁸⁷:

أي المتباعدة في المخرج مع اتفاقها في أكثر الصفات، من ذلك: (السين والشين) و (الصاد والضاد) و (اللام والميم) و (اللام والهاء) و (النون والهاء) و (النون والميم)⁸⁸.

6.1. السين والشين:

مما سمح للإبدال بين الحرفين بالرغم من عدم تقارب المخارج هو اتفاقهم بأكثر الصفات: (الهمس، الرخاوة، الانفتاح، الاستفال) وقد ورد في كتب القدماء هذا النوع من الإبدال، ومن ذلك:

"يقال جاحسته، وجاحسته إذا زاحمته، وبعض العرب يقول للجحاش في القتال الجحاس"⁸⁹، وعن الفراء: "أتيت به بسدفة من الليل وشدفة" أي بظلمة، والسدف والشدف من الأضداد فهما للظلمة والضوء⁹⁰، ومنها قول الكميت (ت 126 هـ - 721 م):

وغادرنا على حجر عمرة
قشاعم ينتهشن وينتقينا⁹¹
ومعنى ينتهش الذي ورد في البيت أي يعضُّ.

وقد ورد في القراءات القرآنية من ذلك: قوله تعالى: ﴿...إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ...﴾ (النساء 133:4) فقرأ حمزة وهشام (229 هـ) ﴿يسأ﴾ بإبدال الشين في الكلمة سيناً في الوقف⁹². ويمكن أن يرجع التبادل الذي بين السين والشين إلى أمراض الكلام كالثلث⁹³.

من خلال هذه الدراسة تبين أنّ الإبدال اللغوي يعتمد على السماع، الذي ورد عن القبائل، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على تفسير الأمثلة من الجانب الصوتي فقط.

7. ما حسبه اللغويون القدامى إبدلاً ولا ينطبق عليه الإبدال:

وهناك اختلافات بين القدامى فيما بينهم والمحدثين؛ في تفسير الإبدال، ففي إبدال أبي الطيب اعتبر كل ما سمع عن العرب من الإبدال اللغوي إبدالاً، بينما لم يرض بذلك ابن جني وابن سبدا (ت 458 هـ - 1066 م)؛ حيث تفردا في رأيٍ لهما حول هذا النوع من الإبدال، فأشارا إلى وجوب وجود علاقة مخرجة أو وصفية بين الحرفين المبدل والمبدل منه، حتى يتم التبادل، وإلا فلا يمكن أن ينسب هذا إلى التبادل اللغوي.

⁸⁶ ابن الجزري، التمهيد، 140-141؛ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (مصر: مكتبة النهضة)، 52.

⁸⁷ البناء، إتحاف فضلاء البشر، 1: 112؛ ابن الجزري، النشر، 1: 278؛ الجندي، في التراث، 1: 409.

⁸⁸ غلام، الإعلال والإبدال، 475.

⁸⁹ ابن السكيت، القلب والإبدال، 1: 12؛ أبو الطيب، الإبدال، 2: 157.

⁹⁰ أبو الطيب، السابق، 2: 155؛ فبنو تميم يذهبون إلى أنّهما الظلمة، وقيس يذهبون إلى أنّهما الضوء؛ ابن الأثيري، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل بن إبراهيم، المكتبة العصرية، 1987 م، 114.

⁹¹ الكميت بن زيد الأسدي، ديوان الكميت، تحقيق: محمد نبيل طريفي، ط1 (بيروت: دار صادر، 2000)، 443.

⁹² علي بن محمد بن سالم أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي، غيث النفع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004)، 1: 180.

⁹³ ابن جني، سر الصناعة، 1: 180.

قال ابن جنّي - حين تحدث عن التبادل الذي ذكره في كلمتي (حثث) و(حثّ) حيث اعتبر بعضهم أنّ الحاء أبدلت ثاءً -: "إنّ القلب في الحروف إنّما هو فيما تقارب منها... فأثماً الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب أحدهما إلى أختها"⁹⁴.

وابن سيّد رفض الإبدال بين حرفين تباعداً في المخرج مثل حرف من حروف الشفّة والحلق⁹⁵، وكذلك كان رأي بعض المحدثين ومنهم (د.أحمد علم الدين الجندبي) الذي قال: "ما دامت الأصوات متباعدة، لا نستطيع أن نقول بالإبدال، بل هما من المترادف في حال اتفاق الكلمتين في المعنى، مثل: زحلوقة، زحلوقة"⁹⁶، وإنّ كلمتي زحلوقة وزحلوقة معناهما واحد وهو (آثار تزلج الصبيان)، وقد عزا أحمد الجندبي هذا الإبدال بين القاف والفاء إلى التصحيف، ونحن نميل إلى هذا الرأي فقد ذكرنا أنّ من أسباب الإبدال اللغوي التصحيف، ونلاحظ أنّ القاف والفاء متشابهان بالشكل لذلك يمكن أن يحدث الخطأ بينهما بسهولة في الكتابة.

وقد استنكر رأي اللغويين الذين اعتقدوا بالإبدال بين القاف والفاء، وذلك لعدم وجود علاقة مخرجية ووصفية فيما بينهما، وقال بأنّ القدماء لم يعترفوا بهذه العلاقة فأوردوا كل ما سمعوه على أنّه إبدال، ومن ذلك ما ورد في كتاب (الإبدال لأبي الطيب) ما يدل على عدم اعترافه بهذه العلاقة، وجاء بأمثلة عن الإبدال لحرفين العين والباء: "ابتسرت الرجل ابتساراً، واعتسرت اعتساراً"⁹⁷، ولكن كثير من رواة اللغة الأولين وافقوا أبو الطيب واعتبروا هذا إبدالاً ومنهم ابن السكيت وعبد الرحمن الزجاجي (340 هـ - 952 م)، ومن الأمثلة التي وردت في الكتب القديمة في الإبدال⁹⁸، ولا ينطبق عليها الإبدال بسبب تباعد الحرفين المبدل والمبدل منه، مخرجاً وصفةً ومنها⁹⁹:

7.1. بين الجيم والطاء:

(الآجام والأطام) بمعنى شجر غير ملتف، لا يوجد علاقة في المخرج أو الصفة بين الجيم والطاء¹⁰⁰.

7.2. بين الجيم والفاء:

"السُّلُجُ والسُّلْفُ - ولد الحجل -"¹⁰¹، الجيم والفاء متباعداً مخرجاً وصفةً.

وهناك الكثير من الأمثلة وكلها تقع تحت العنوان الذي ذكرناه سابقاً وهو ما حسبه اللغويين القدامى بدلاً وليس منهم، فالإبدال وإن ورد ببعض كتب القدماء إلا أنّه إذا لم يوافق شروط الإبدال، لا يمكن اعتباره إبدالاً فقد يكون الأمر إمّا من أمراض اللسان، أو من التصحيف، أو غير ذلك...¹⁰²

وإنّ العرب لم تتعمد هذا الإبدال وإنّما حصل نتيجة اختلاف بيناتهم وقبائلهم، وهذه الظاهرة لها أسسها وقواعدها كأن يكون هناك تقارب بين الأصوات المتبادلة وغير ذلك¹⁰³، ولا يمكن لنا أن نضع حرف مكان حرف لإعطاء مفردة جديدة إنّما يكون الإبدال في مفردات جاءت عن طريق الرواية الموثوقة ودرسها العلماء وأقروها، ومن أنواع الإبدال في بعض

⁹⁴ ابن جنّي، سر الصناعة، 1: 193.

⁹⁵ أبو الحسن علي بن إسماعيل التحوي اللغوي الأندلسي المعروف ب(ابن سيّد)، المخصص، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 13: 274.

⁹⁶ الجندبي، في التراث، 2: 472.

⁹⁷ أبو الطيب، الإبدال، 1: 17، 18.

⁹⁸ الجندبي، في التراث، 2: 474، 475.

⁹⁹ الجندبي، في التراث، 2: 475، 476.

¹⁰⁰ أبو الطيب، الإبدال، 1: 234.

¹⁰¹ أبو الطيب، الإبدال، 1: 238.

¹⁰² الجندبي، في التراث، 2: 472-473.

¹⁰³ الجندبي، في التراث، 1: 349.

الحروف عند بعض القبائل المختلفة ما وُصِفَ بأنها من مستبشع اللغات، ومنها العنعة والفحفة والكشكشة والكسكسة والشنشنة والعجعة وقطعة طيء و الاستنطاء والطمطمانية والوتم والتلثة والوكم والوهم وغيرها، وقد ذكرها ابن فارس تحت عنوان باب اللغات المذمومة¹⁰⁴، وذكرها السيوطي تحت عنوان معرفة الرديء والمذموم من اللغات¹⁰⁵، وهي من اللهجات التي تأثرت بالإبدال اللغوي، وسنذكر بعضها كمثال عنها.

8. اللهجات التي تأثرت بالإبدال اللغوي:

ومن اللهجات التي تأثرت بالإبدال اللغوي، و التي اعتبرها العلماء من اللهجات الرديئة والمنبوذة:

8.1. الكشكشة:

ذكر السيوطي: "الكشكشة، وهي في بعض اللغات، ربعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً، فيقولون - رأيتُكش - .. - عَلِيكش -".¹⁰⁶ كما أنها تنسب لأسد¹⁰⁷ وهوازن، وإلى تميم¹⁰⁸، وقد نسبت إلى كل هذه القبائل ربما لتجاور مساكنها، ونسبها إلى بكر بن وائل التي ينتهي نسبها إلى ربعة¹⁰⁹.

وفي تفسير هذه الظاهرة قال ابن جني: "ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيئاً، حرصاً على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تختفي عند الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شيئاً..."¹¹⁰، وذكر أن منهم من تحدث بهذه اللهجة في الوصل أيضاً.

وقد وردت بعض القراءات حول هذه اللهجة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ (آل عمران 42:3)، قرأها البعض: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾¹¹¹.
قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رِبَكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (مريم 24:19)، قال أحمد تيمور (ت 1348 هـ - 1930 م) أنه قد ورد في فقه اللغة للتعالبي أن بعضهم قرأ الآية السابقة: ﴿قَدْ جَعَلَ رِبَشِ تَحْتَشِ سَرِيًّا﴾¹¹².

8.2. قطعة طيء:

وهي حذف آخر حرف في الكلمة؛ ومما ورد في ذلك في (معجم العين للخليل بن أحمد): "قولهم يا أبا الحكا"¹¹³، وهو يريد (يا أبا الحكم) حذف الحرف الأخير في كلمة (الحكم). وهو بذلك يشبه الترخيم في حذف الحرف الأخير من الكلمة؛ إلا أن الترخيم يكون في آخر اسم المنادى، أما هذه اللهجة فيكون الحذف فيها في كل الكلمات سواء كانت حرفاً أو فعلاً أو اسماً منادى أو غير منادى¹¹⁴.

ولمكانة طيء الكبيرة في العربية الشمالية، نجد آثار لهجتها في النحو العربي في باب (الترخيم) كما ظهرت في القراءات القرآنية والمعاجم العربية، وسنعرض بعض الأمثلة حول ذلك :

¹⁰⁴ ابن فارس، الصحاحي، 56.

¹⁰⁵ السيوطي، المزمهر، 1: 221.

¹⁰⁶ السيوطي، المزمهر، 1: 221؛ السيوطي، الاقتراح، 154.

¹⁰⁷ ابن فارس، الصحاحي، 56.

¹⁰⁸ أبي الطيب، الإبدال، 2: 230.

¹⁰⁹ أحمد تيمور باشا، لهجات العرب 290 (1973)، (مصر: المكتبة الثقافية)، 68-79.

¹¹⁰ ابن جني، سر الصناعة، 206؛ تيمور، لهجات العرب، 69.

¹¹¹ تيمور، لهجات العرب، 69.

¹¹² تيمور، لهجات العرب، 67.

¹¹³ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار و مكتبة الهلال)، 1: 137.

¹¹⁴ يخاطره الشافعي - عبد الصبور شاهين، "المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة"، اللهجات العربية بحوث ودراسات، ط1 (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 2004)، 221-223.

قوله تعالى: ﴿ونادوا يا مال ليقضي علينا ربك﴾ (الزخرف 43:77) أي مالك.

"خذوا حذرکم یا آل عکرم واحفظوه" أي عكرمة، رخصت كلمة عكرمة من غير النداء.

ومنها حذف ألف الغائبة في الوقف، قرأ علي بن أبي طالب وعروة بن الزبير (ت 94 هـ - 713 م) ﴿ونادى نوح ابنه﴾ (هود 42:11) أي ابنها والمعنى ابن امرأته¹¹⁵.

وتفسير هذه الظاهرة؛ بسبب تضال صوت الحرف الأخير في الكلمة، حتى أنه يتعرض للسقوط، وطيء من القبائل البدوية التي تميل إلى السرعة في الكلام، وبسبب ذلك تحذف آخر الحروف، وليس هذا الحذف خاصاً بالميم كما نصت المعاجم على ذلك¹¹⁶.

8.3. الاستنطاء :

قال السيوطي: "الاستنطاء في لغة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار؛ تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء ك(أنطى) في (أعطى)"¹¹⁷. ومن القراءات القرآنية التي قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكُوْثِرَ﴾ (الكوثر 1:108)، وهي قراءة شاذة قرأ بها الحسن البصري (ت 110 هـ - 728 م) وطلحة بن مصرف (ت 112 هـ - 730 م) وابن محيصن وغيرهم ..

وهناك مثال عن هذه اللهجة من حديث النبي صل الله عليه وسلم حيث قال: (لا مانع لما أنطيت، ولا مُنْطِي لما منعت) وغيره¹¹⁸. ورد في اللسان "الإنطاء: الإعطاء بلغة أهل اليمن"¹¹⁹.

فسر المحدثون هذه الظاهرة؛ بأن العرب نطقت العين من الأنف والقم فسمعت ممتزجة بصوت النون؛ وأن هذه النون في (أنطى) ليست حقيقة¹²⁰، وهناك من اعترض على هذا التفسير ومنهم (رابين)؛ حيث اعتبر أن الفعل (أنطى) ليس هو الفعل (أعطى) وإنما هو صيغة التعدية من الفعل "نطا، بمعنى مد يده إلى..."¹²¹.

سيُكتفى بدراسة هذه اللهجات التي اعتمد فيها الإبدال على السماع وعلى تقارب مخارج الحروف وتقارب الصفات بين المبدل والمبدل منه.

كانت هذه دراسة مبسطة حول تأثير الإبدال اللغوي على اللهجات العربية القديمة من المستوى الصوتي، فمن خلال هذه الدراسة أمكننا معرفة التطور الذي طرأ على بعض اللهجات العربية على المستوى الصوتي، كما أنها تُفيد في الربط بين اللهجات القديمة والحديثة، ونسب اللهجات الحديثة إلى أصلها من اللهجات القديمة، وكذلك فإن الإبدال اللغوي يساعد الدارس على تعرف الخصائص الصوتية لكل لهجة على حدة، وإن كان القدماء بالرغم من أنهم جمعوا كتماً هائلاً من الألفاظ المختلفة لتلك اللهجات العربية القديمة إلا أنهم لم يعزوا إلا القليل منها إلى قبائلها وقد كان هذا الأمر من الصعوبات التي واجهت الدارسين للهجات العربية القديمة.

وإن الإبدال اللغوي الوارد في اللهجات العربية القديمة لا يمكن أن يُطبَّق على كل مفردات القرآن الكريم، وخاصة إذا أدى الإبدال إلى تغيير في المعنى.

115 ابن جني، المحتسب، 1: 322؛ أبو حيان، البحر، 6: 157.

116 الشافعي-شاهين، "المصطلحات اللغوية"، 221، 222.

117 السيوطي، المزهر، 1: 222؛ السيوطي، الاقتراح، 155.

118 أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (القاهرة: مكتبة المتنبى)، 182؛ أبو حيان، البحر المحيظ، 10: 556؛ السيوطي، الاقتراح، 155؛ الجندي، في التراث، 1: 386؛ هلال، اللهجات العربية، 185.

119 ابن منظور، اللسان، 15: 333.

120 الجندي، في التراث، 1: 388.

121 رابين، اللهجات العربية القديمة، 67؛ الجندي، في التراث، 1: 388.

الإبدال اللغوي يعتبر من أسباب اختلاف اللهجات العربية القديمة ويؤخذ به ما لم يتسبب في اختلاف المعنى للكلمة الواحدة، وقد ذكرنا ذلك من خلال مناقشة بعض الأمثلة القرآنية وذكر آراء القدماء والمحدثين في ذلك، وقد كان ابن جني ممن رفض الإبدال اللغوي في حال أدى إلى اختلاف المعنى.

المراجع:

- ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف. *التمهيد في علم التجويد*. تحقيق: غانم قُدوري حَمَد. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. *النشر في القراءات العشر*. تحقيق: علي محمد الضباع. القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى.
- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. *(كنز الحقاظ) كتاب الألفاظ*. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط1. لبنان: مكتبة لبنان، 1998.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. *سر صناعة الإعراب*. تحقيق: حسن هندراوي. ط1. دمشق: دار القلم، 1985.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإيضاح عنها*. ط1. مصر: وزارة الأوقاف، 1999.
- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد. *مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع*. القاهرة: مكتبة المتنبني.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي. *الجمهرة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.
- ابن سيدا، أبو الحسن علي بن إسماعيل التحوي اللغوي الأندلسي. *المخصص*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلي. *المتع الكبير في التصريف*. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط8. بيروت: مكتب لبنان، 1994.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي. *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*. القاهرة: مكتبة السلفية، 1910.
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر البغدادي. *كتاب السبعة في القراءات*. تحقيق: شوقي ضيف. ط2. مصر: دار المعارف، 1980.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي. *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار الصدر.
- ابن يعيش، أبو البقاء. *شرح الملوكي في التصريف*. تحقيق: د. فخر الدين قباوة. ط1. حلب: مكتبة العربية، 1973.
- ابن يعيش، أبو البقاء. *شرح المفصل للزمخشري*. تحقيق: إيميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.
- أبو الحجاج، يوسف البلوي المالقي. *ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة*. بيروت: المكتبة العلمية، 2013.
- أبو الطيب، عبد الواحد علي اللغوي الحلبي. *كتاب الإبدال*. تحقيق: عز الدين التنوخي. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1961.

- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أسير الدين الأندلسي. *ارتشاف الضرب من لسان العرب*. تحقيق: رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أسير الدين الأندلسي. *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. ط1. بيروت: دار الفكر، 1999.
- أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي. *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار أحياء التراث العربي. 2001.
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن البلخي البصري. *معاني القرآن*. تحقيق: هدى محمد قراعة. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990.
- الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي نجم الدين. *شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم عبد القادر البغدادي*. تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفازف ومحمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الكتب العلمية، 1975.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد البارى عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.
- أنيس، إبراهيم. *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1965.
- أنيس، إبراهيم. *من أسرار اللغة*. ط6. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.
- أنيس، إبراهيم. *الأصوات اللغوية*. مصر: مكتبة النهضة.
- البناء، أحمد بن محمد. *إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر*. تحقيق: شعبان محمد اسماعيل. ط1. القاهرة: عالم الكتاب، 1987.
- التبريزي، الإمام الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي. *شرح القصائد العشر*. تحقيق: إدارة الطباعة المنيرية. دمشق: الطباعة المنيرية.
- تيمور، أحمد. *لهجات العرب* 290 (1973). مصر: المكتبة الثقافية.
- جرجاوي، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد. *شرح التصريح على التوضيح*. بيروت: دار الفكر العلمية، 2000.
- الجندي، أحمد علم الدين. *اللهجات العربية في التراث*. ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب، 1983.
- الجوهري، اسماعيل بن حماد. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: د.محمد محمد تامر. القاهرة: دار الحديث، 2009.
- رايين، تميم. *اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية*. ترجمة: د.عبد الكريم مجاهد. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. ط2. الكويت: مطبعة حكمة الكويت.
- الزموخشري، أبو القاسم محمد بن عمر بن أحمد. *المفصل في صناعة الإعراب*. تحقيق: علي بن ملحم. ط1. بيروت: مكتبة الهلال، 1993.
- الزموخشري، محمد بن عمر أبو القاسم جار الله. *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل*. ط3. بيروت: دار المعرفة، 2009.

- الزمخشري، محمد بن عمر أبو القاسم جار الله. *الفائق في غريب الحديث و الأثر*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. لبنان: دار المعرفة.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان الحارثي. *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988.
- السيوطي، جلال الدين. *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. تحقيق: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي. صيدا بيروت: المكتبة العصرية، 1986.
- السيوطي، جلال الدين. *ممع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق: عبد الحميد هندواي. ط1. مصر: المكتبة التوقيفية، 1999.
- السيوطي، جلال الدين. *الاقتراح في أصول النحو*. تحقيق: عبد الحكيم عطّية. ط2. بيروت: دار البيروتية، 2006.
- الشافعي، بخاطره - شاهين، عبد الصبور. "المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة". *اللهجات العربية بحوث ودراسات*. ط1. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 2004.
- الصالح، صبحي إبراهيم. *دراسات في فقه اللغة*. ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 1960.
- الصفناقصي، علي بن محمد بن سالم أبو الحسن النوري المقرئ المالكي. *غيث النفع في القراءات السبع*. تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004.
- عبد الكريم، صبحي عبد الحميد محمد. *اللهجات العربية في معاني القرآن للقرء دراسة نحوية و صرفية ولغوية*. ط1. القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1986.
- العبيدي، عبد الجبار عبد الله. "الإبدال في اللهجات وأثر الصوت فيه". *مجلة جامعة الأنبا للغات والآداب* 3 (2010).
- علي، جواد. *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط4. بيروت: دار الساقية، 2001.
- غلام، أنجب غلام نبي بن غلام محمد. *الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية*. رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، 1989.
- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار. *الحجة للقرء السبعة*. تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي. تدقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. ط2. دمشق وبيروت: دار المأمون للتراث، 1993.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. *كتاب العين*. تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، بيروت: دار و مكتبة الهلال.
- القالبي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون. *الأملية، شذور الأملية، النوادر*. ط2. مصر: دار الكتب المصرية، 1926.
- القرطبي، بوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. *الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان*. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2006.
- كبهة، سائد ياسين أسعد. *ما نبئني على أشعار هذيل من تصارييف اللغة وقواعدها*. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 1988.
- الكميت، الكميت بن زيد الأسدي. *ديوان الكميت*. تحقيق: محمد نبيل طريف. ط1. بيروت: دار صادر، 2000.
- نجا، إبراهيم محمد. *فقه اللغة العربية*. القاهرة: دار النيل للطباعة، 1957.

- النخّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. *إعراب القرآن*. تحقيق: خالد العلي. ط2. القاهرة: دار المعرفة، 2008.
- هلال، عبد الغفار. *اللهجات العربية نشأة وتطوراً*. ط2. القاهرة: مكتبة وهبة، 1993.

